الفصل الثالث
في الإبدال اللغوي

obeikandl.com

يقع الإبدال بين أصوات العربية المتقاربة المخارج والصفات وهو أمر لا خلاف عليه بين العلماء قدامى ومعاصرين ، ولكن الذي يحدث أحيانا أن يقع الإبدال الصوتي في كلمة تاركا معه خلافا بين الصرفيين في عدة أحوال ظهرت للباحث في شروح الفصيح منها :

1- أن الصورة الواقع فيها الإبدال تلتبس بدلالة كلمة أخرى .

2- أن الصورة الواقع فيها الإبدال تقع لغة لقوم آخرين ، وبالتالي فهي في عُرف كثير من القدماء أصل بذاتها.

3- أن يختلف العلماء في أيهما الأصل وأيهما الفرع ؟ .

تلك الحالات وردت لها صور خلافية في شروح الفصيح ، نأخذ منها ما يلي :

1- مما التبست فيه الصورة المبدلة بدلالة كلمة أخرى ما ورد عند الزمخشري في (حنك وحلك) " حنك الغراب وحلك الغراب واللام أكثر ، و روى الأصمعي عن الكسائي باللام والنون جميعا ، وعن الفراء بالنون أكثر وكذلك الكسائي ، وفرّق أبو زيد بينهما ، فقال حلك الغراب لونه وحنك الغراب منقاره ، قال أبو حاتم السجستاني : سألت أم الهيثم فقلت : هو أشد سوادا من ماذا ؟ فقالت : لا أقول بالنون أبدا "[1] .

أشار اللخمي إلى هذا الخلاف أيضا " قال الشارح : حلك الغراب سواده ، والحالك الأسود والنون في حنك بدل من اللام ، ... لتقاربهما في المخرج كما قيل :رفَنْ ورفل ، وقيل الحنك المنقار ، وقد أنكر حنك بالنون قوم من اللغويين ، قال أبو بكر بن دريد : قال أبو حاتم : قلت لأم الهيثم : كيف تقولين أشد سوادا مماذا ؟ فقالت : من حلك الغراب ، قلت : أفتقولينها من حنك الغراب ، فقالت : لا أقولها أبدا "[2] .

وحاول الهروي أن يؤكد أصالة اللام في (حنك وحلك) " فحلك الغراب باللام سواده ، وحنكه بالنون : منقاره وهو أيضا أسود . وقيل إن حلك الغراب وحنكه بمعنى واحد لسواده ، والنون

[1]- شرح الفصيح ، للزمخشري , 658

[2]- شرح الفصيح ، ابن هشام اللخمي , 252 - 253

obeikandi.com

فيه بدل من اللام ... إلا أن اللام أكثر لدورها في متصرفات هذه الكلمة ؛ لأنهم قالوا : حلكوك ومُحْلَوْلَك ، وقد احلولك ، ولم يقولوا شيئا من ذلك بالنون " [1] .

2- ومما قالوا فيه باللغات (صيدناني وصيدلاني) قال ابن درستويه : " صيدناني وصيدلاني ، فإنهما لغتان كما قال (يقصد ثعلبا) ، يتكلم بكل واحدة منهما قوم من العرب دون غيرهم باللام والنون ، وهي على فيعلاني وأصله من الصيدل والصيدن ، وهما حجارة الفضة واحدتها صيدانة ، وشبّه حجارة العقاقير بها فنسب إليها الصيدناني . والصيداء أيضا أرض حجارتها صغار ، والصيدن أيضا : الملك والرئيس ... والألف والنون في الصيدلان والصيدنان زائدتان للمبالغة ونحوها " [2] .

وعلى ذلك القول فإن النون أصل ، وهو يقر بتفسيره ذاك بوقوع الإبدال وهو ما أشار إليه الزمخشري بأن " الصيدناني والصيدلاني الذي يبيع العقاقير بالنون أجود ، وإنما سمي صيدنانيا لأنه يبيع ما يحمل من صَيْدن اسم حجر . ويقال الصيدن : الثعلب وليس هذا بثبت ، فإذا قلت اللام فلمعاقبة النون كما قالوا : جبريل وجبرين ، وإسرائيل وإسرائين " [3] .

3- واختلفوا في الواقع فيهما إبدال صوتي أيهما أصل وأيهما فرع ، فجوّد قوم صورة ، وجوّد آخرون الأخرى ، نجد ذلك عند الزمخشري في (لازم ولازب) " وقوله : ما هذا بضرب لازب ولازم ، أي ما هذا بدائم ، والباء أجود عند الكوفيين ، وينشدون قول النابغة : (طويل)

فَلَا يَحْسَبونَ الخَيْرَ لا شَرَّ بَعْدَهُ وَلَا يَحْسَبون الشرَّ ضَرْبَةَ لازبِ

وقال بعضهم : هو تعاقب الميم والباء ، وقال الفراء : هما لغتان ، وقول الفراء أجود ، وفيه لغة أخرى : لاتب ، قال الفراء : يقال لَتَب يلتُب ويلتِب " [4] .

ويتضح من هذا الموضع تعدد أشكال الخلاف فيه ما بين القول بالتعاقب أو باللغات أو بالأصل في إحدى الصورتين ، ومن ذلك خلافهم في (امتقع وانتقع وابتقع) فعند الزمخشري " قوله :

[1]- إسفار الفصيح ، للهروي ، 864
[2]- تصحيح الفصيح و شرحه ، لابن درستويه , 457
[3]- شرح الفصيح ، للزمخشري , 639
[4]- شرح الفصيح ، للزمخشري , 625

امْتُقِع لونه : إذا تغيّر ، فيه لغات أربع أفصحها ما ذكره أبو العباس ، ويقال ابتقع بالباء ، وانتقع بالنون ، واهتقع بالهاء ، ويجوز أن يكون امتُقع وانتقع وابتقع من أصل واحد ، فيكون الأصل الباء والميم بدل منها والنون بدل من الميم ، لأن بين الباء والميم تعاقبا وكذلك بين الميم والنون " [1] .

ويرجع الاهتمام بظاهرة الإبدال إلى فترة مبكرة نسبيا " ويقال إن هذه التسمية (الإبدال) للأصمعى (ت 216هـ) ووافقه عليها ابن السكيت (ت 244هـ) الذى ألف كتابا فى (القلب والإبدال) كما ألف عبد الرحمن الزجاجى (ت 340هـ) كتابا سماه (الإبدال والمعاقبة والنظائر)، و قام أبو الطيب اللغوى (ت 351هـ) بجمع الكلمات التى حدث فيها الإبدال فى كتاب ضخم سماه الإبدال وممن سلك سلوك الأصمعى فى التقاط هذه النظائر وجمعها من أفواه العرب :اليزيدى (ت202 هـ) والشيبانى(206هـ) وقطرب (ت206 هـ) والفراء (ت 207هـ) وأبو عبيدة (211هـ) إلى غير هؤلاء الذين يعكسون اهتماما لغويا ملحوظا بظاهرة الإبدال فى أطوارها الأولى .

" وظل الاهتمام فى التدرج والنمو حتى عصر أبى على الفارسى وتلميذه ابن جنى فألف فى الإبدال كتاب (تعاقب العربية)، وتناوله فى خصائصه فى أكثر من موضع كما تناوله ابن سيدة فى المخصص و السيوطى فى المزهر ...الخ " [2] .

ولم يكن علماء اللغة على طريق واحدة فى دراستهم للإبدال فلقد " انقسم العلماء فى هذا على فريقين : اللغويين و هم أولئك الذين عنوا بتصنيف المعاجم و جمع شتات الألفاظ و هؤلاء قد قصروا ظاهرة الإبدال على ذلك النوع من الكلمات التى رواها ابن السكيت ، أى أن نرى للكلمة صورتين مستعملتين ، أو على الأقل جائزتين فى الاستعمال . أما الفريق الآخر فهم النحاة و هؤلاء قد و سعوا من شأن الإبدال حتى شمل الإعلال " [3] .

---

[1]- شرح الفصيح ، للزمخشري , 128

2- فى فقه اللغة ، للدكتور عبد الله ربيع والدكتور عبد العزيز علام 136 - 137.

3- من أسرار اللغة ، د.إبراهيم أنيس 71.

obeikandi.com

و لقد توسع النحويون فى ذكر أقسام الإبدال حتى شمل الإبـدال عنـدهم الصـورة المتطـورة عـن صور قديمة أمست غير مستعملة حالياً و يقسم عندهم إلى : 1- إبدال شائع للإدغام و هو فى جميع الحروف عدا الألف .

2- الإبدال الشائع غير الضرورى فى التصريف و هو ما كثـر فى بعـض اللغـات كفحفحـة هـذيل وعجعجة قضاعة .....

3- الإبدال الشاذ كإبدال النون لاماً .

4- الإبـدال القياسى الضرورى فى التصريف الـذى يـوقع تركـه فى المخالفة و حروفه النـى تبـدل من غيرها تسعة مجموعة فى قولهم (هدأت موطيا).

5- إبدال نادر فى ستة أحرف و هى (الحاء و الخاء و الـذال و الضـاد و العـين و القـاف) و يمكـن إبدالها من (العين و الغين والثاء و الدال و الحاء و الكاف على الترتيب" [1].

و لقد آثر العلماء المعاصرون تقسيم الإبدال عـلى قسـمين كبـيرين همـا الإبـدال اللغـوى و يتصـل بدراسات اللغويين و الإبدال الصرفى و هو ما يتصل بدراسات النحاة .

و يتميز الإبدال اللغوى بوجود صورتين مستعملين تختلفان فى صوتين اشترط جمهور العلماء فـيهما أن يكونا متقاربين مخرجاً أو صفة ، أما فى الإبدال الصرفى فالأمر مختلف لأنه كما ذكرنا مـن قبـل قـد يكـون تطوراً لمرحلة حالية عن مرحلة سابقة غير مستعملة الآن .

و الباحث يقصد بالدراسة هنا ما سلكه اللغويون و نخص مـا ذكرنـاه ممـا جـاء في بعـض شروح الفصيح ، وذلك بالتعرض لتلك الكلمات التى تربط بينهما علاقة صوتية مباشرة .

ونلاحظ أن معظم أبواب الإبدال بصفة عامة قد ألحقت بها مصطلحات مميزة حديثة أو قديمـة فهناك الإدغام و الإعلال ، عنـد القـدماء ، و هنـاك المماثلـة الصـوتية و المخالفـة الصـوتية و الحذلقـة و القياس الخاطئ ، و التصحيف و التحريف عند المعاصرين .

1- انظر فى أقسام الإبدال : دراسات صرفية ، إبراهيم البسيوني 5-7، التيسير التام للإعلال و الإبدال و الإدغام ، د.محمود أحمد المكاوى 3-5 .

openkanal.com

و يتبقى أمامنا حالة خاصة للإبدال هى لبُّ الحديث عنه و أساس نشأته و هى ما تقارب فيها الصوتان المختلفان فى كلا الصورتين دون الوقوع تحت تأثير صوتى بالتجاور أو بغيره ، و من ثم وضع لها العلماء مصطلح الإبدال اللغوى ، و ينبغى هنا أن نشير إلى قول أستاذنا د0 رمضان عبد التواب : " يجب أن ننبه هنا إلى أن هناك انقلابات صوتية لا تخضع للقوانين التى نشرحها هنا بل تخضع لما يسمى بالعادة اللغوية لمنطقة ما (substrat) "[1] .

و لقد حلا لبعض النحاة أن يطلقوا على "الإبدال اللغوى " مصطلح " الإبدال النادر أو الشاذ " و لا نرى ذلك لأن هذا الإبدال ليس نادراً أو شاذاً كما زعم القدماء يدلنا على ذلك التراث الضخم الذى جاء فى كتبهم و مؤلفاتهم حوله أشهرها (الإبدال)لأبى الطيب اللغوى و (الإبدال) لابن السكيت .

و يبدو أن هذا الملمح الإبدالى يغلب عليه الطابع البيئى (اللهجى)[2] ، بمعنى أن إحدى الصورتين تستعمل فى مكان و تستعمل الصورة الثانية فى مكان آخر، و لا يفوتنا أن ندرك أن الصورتين قد تستعملان نادراً فى بيئة واحدة وهذا جائز . و قد يرد البعض بقولهم : إن الصورتين المستعملتين فى مكانين مختلفين لا تخصان الإبدال إنما هى لغات القبائل و على هذا فليس هناك إبدال حتى لو وجدت علاقة صوتية [3] ، وهذا عين ما ذهب إليه ابن درستويه .

و الرد على ذلك ميسور لأن اللغة فى الأصل واحدة تفرعت إلى لهجات لتعدد القبائل الناطقة بها ، و من ثم اختلفت الصورتان فى الأصوات المتقاربة صوتيا ، يؤيدنا فى ذلك قول أحد الباحثين : " إن هذه الظاهرة قد لاحظها الرواة الذين جمعوا اللغة عن قبائل مختلفة ، و أتيح لهم أن يجدوا إلى جانب الصقر السقر و الزقر أيضاً ، و حتى حين و حتى عين ، و هيهات و أيهات إلى غير ذلك ، و هنا يصبح

1- لحن العامة و التطور اللغوى ، د. رمضان عبد التواب 35 .
2- انظر : فقه اللغة العربية ، د. إبراهيم محمد نجا 26، فقه اللغة ، د. على عبد الواحد وافى 185، أثر القراءات فى الأصوات و النحو العربى ، د. عبد الصبور شاهين 280 .
3- انظر : التطور اللغوى التاريخى ، 115، فى فقه اللغة للدكتور عبد الله ربيع و الدكتور عبد العزيز علام 141 .

من حق الأجيال التى تلت القرن الثانى الهجرى استعمال واحدة من هذه الكلمات ، كما أصبح من حق الرواة القول بصحة الوجهين أما قبل جمع اللغة فلم يكن هناك من يقول السويق و الصويق " [1] .

لذلك فنحن نوافق أبا الطيب اللغوى ، حيث قال فى كتابه فيما نقله عنه السيوطي : " ليس المراد بالإبدال أن العرب تتعمد تعويض حرف من حرف ، وإنما هى لغات مختلفة لمعان متفقة تتقارب اللفظتان في اللغتين لمعنى واحد ، حتى لا يختلفا إلا فى حرف واحد . قال : والدليل على ذلك أن قبيلة واحدة لا تتكلم بكلمة طوراً مهموزة وطوراً غير مهموزة ، ولا بالصاد مرة وبالسين أخرى ، وكذلك إبدال لام التعريف ميماً والهمزة المصدرة عيناً كقولهم فى أنْ : عنْ ، ولا تشترك العرب فى شيء من ذلك ؛ إنما يقول هذا قوم وذاك آخرون " [2] .

من هذا المنطلق نرى أن نميز هذا النوع من الإبدال بمصطلح " الإبدال اللهجى أو اللغوي " لأنه أكثر ارتباطاً باللهجات وإن كان البعض يطلق عليه التعاقب أو التناوب [3] . والمقام هنا يقتضي مصطلح (الإبدال اللغوي) لأننا ندرسه على نطاق أوسع من اللهجات العربية داخل الجزيرة العربية .

ولقد أدرك كثير من القدماء ضرورة التقارب الصوتى بين الصوتين المبدلين ، فأشاروا إلى ذلك إشارات واضحة ، نذكر منهم سيبويه [4] (ت 180هـ) والمبرد [5] (ت 257) وابن يعيش [6] (ت 643هـ) . ويشير د.شاهين إلى أن ذلك مذهب أبى زكريا الفراء (ت207 هـ) ونقله عنه السيرافى (ت 368هـ) [7] .

ومن إشاراتهم الواضحة لذلك قول ابن جنى (392هـ) :" أصل القلب فى الحروف إنما هو فيما تقارب منها وذلك الدال والطاء والتاء والذال والظاء والثاء والهاء والهمزة .... وغير ذلك مما تداخلت مخارجه فأما الحاء فبعيدة من التاء وبينهما تفاوت يمنع من قلب إحداهما إلى أختها " [8] .

1- رواية اللغة ، د. عبد الحميد الشلقانى 348 .
2- المزهر ، للسيوطى 1 / 460 .
3- فقه اللغة ، د. على عبد لواحد وافى 185 .
4- انظر الكتاب ، 4 / 483 .
5- انظر المقتضب ، 1 / 36 .
6- انظر شرح المفصل ، 10 / 7 ، 50 .
7- أثر القراءات فى الأصوات والنحو العربي،دراسة فى قراءة أبى عمرو بن العلاء،د.عبد الصبور شاهين73.
8- سر صناعة الإعراب ، لابن جنى 197/1 ، وانظر أيضا : الخصائص 82/2 - 84 .

وابن سيدة يقول :" فأما ما لم يتقارب مخرجاه فقيل على حرفين غير متقاربين فلا يسمى مبدلا وذلك كإبدال حرف من حروف الفم من حرف من حروف الحلق " [1] .

والجمهور الأعظم من المعاصرين يقرون بوجوب العلاقة الصوتية بين المبدل والمبدل منه مثل د. إبراهيم أنيس [2] ، د. عبد الله ربيع [3] ، د. على عبد الواحد وافى [4] ، د. عبد الصبور شاهين [5] .

وكذلك أستاذنا الدكتور رمضان عبد التواب الذي يشير إلى أن " الصوت لا يمكن أن ينقلب إلى صوت آخر ، بعيد عنه فى المخرج جدا ، فلا ينقلب صوت من أصوات الشفة أو الأسنان مثلا إلى صوت آخر من أصوات الحلق ، وكذلك العكس" [6] .

والجدير بالذكر أن بعض المعاصرين أقر الإبدال بين الصوتين المتباعدين مثل د. محمد المبارك 7 ، والأب أنستاس الكرملى [8] ، وجرجى زيدان [9] ، ود. إبراهيم السامرئى [10] ، وهو قول يعد من الآراء الضعيفة بين أوساط الدارسين .

وإذا تباعد المخرجان فإن العلماء المعاصرين يرون أنه " يجدر بنا فى مثل هذه الأحوال ألا نربط بين الصورتين بل يجب أن نعد كلا منهما صورة أصلية مستقلة تمام الاستقلال عن الصورة الأخرى" [11] .

1- المخصص لابن سيدة 274/13 .
2- من أسرار اللغة ، د. إبراهيم أنيس 75 .
3- فى فقه اللغة ، عبد الله ربيع عبد العزيز علام 140 .
4- فقه اللغة ، على عبد الواحد وافى 136 .
5- القراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث ، عبد الصبور شاهين 73 .
6- التطور اللغوى مظاهره وعلله وقوانينه ، د. رمضان عبد التواب 31 ، وانظر : لحن العامة والتطور اللغوى 39 ، فصول فى فقه العربية 121 ، 319 ، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوى 257 ، بحوث ومقالات فى اللغة 11 .
7- فقه اللغة وخصائص العربية ، د. محمد المبارك 49 .
8- نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها ، أنستاس الكرملى 18 .
9- اللغة العربية كائن حي ، جرجي زيدان 18 .
10- التطور اللغوى التاريخى ، د. إبراهيم السامرائى 110 .
11- من أسرار اللغة ، د. إبراهيم أنيس 75 .

وفى ذلك يقول د. عبد الله ربيع :" كثيرا ما يلتبس الترادف بالإبدال فتكون الكلمة من باب الترادف ويعدها العلماء من الإبدال مثل : حجر (أصر و أير) بمعنى صلب ، فما العلاقة بين الصاد والياء حتى نقول بالإبدال ؟ إن هذا وأمثاله مما يمكن تخريجه على الترادف يجب إبعاده من الإبدال " [1] .

ويقول د.صبحى الصالح :" أما الإبدال فيحتمل كثيرا فى لفظتيه أن تكونا مترادفتين تفيدان فائدة واحدة من غير تفاوت " [2] .

***

والمقارنة باللغات السامية تؤكد لنا وقوع الإبدال الصوتي كما هو في العربية لتقارب المخارج والصفات ، وتؤكد لنا أيضا الأصل في بعض الصيغ المختلف عليها ، وتنفي المبدأ القائل بتعارض الإبدال مع اللغات ، الذي رفع لواءه ابن درستويه فالقول بأن الصورتين كلاهما أصل في ذاته بسبب أن هذه من لغة قوم وتلك من لغة آخرين هو قول باطل .

بداية يرى الباحثون في اللغات السامية المقارنة أن " قضايا التحول الصوتي في اللغة العربية بحاجة إلى أن تدرس ضمن منظومة اللغات التي تسمى اللغات السامية لأن دراسة هذا التحول في لغة واحدة لا يفضي إلى نتائج دقيقة " [3] .

وتتصف الأصوات المبدلة عامة بين اللغات السامية بالقرابة الصوتية على أساسين " الأساس الأول الطبيعة : صوامت أو حركات ، والأساس الثاني في القرابة الصوتية هو الاتحاد أو التقارب في المخرج" [4] .

وأكثر الأصوات الصامتة إبدالا فيما بينها " الموائع (ل ، م ، ن ، ر) غالبا ما تتبادل في اللغات السامية"[5].

1- فى فقه اللغة ، 242 .
2- دراسات فى فقه اللغة ، د. صبحى الصالح 241
[3]- التغير التاريخي للأصوات في اللغة العربية و اللغات السامية ، آمنة صالح الزعبي , 1
[4]- المنهج الصوتي للبنية العربية ، عبد الصبور شاهين , 168 / وانظر : اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية ، 66
[5] -E. Drake : Discoveries in Hebrew, Gaelic, Gothic, Anglo-Saxon, Latin, Basque , and other Caucasic languages , 10

وبالرغم من أن المقارنة بالساميات تساعد في تحديد الأصل اللغوي ساعة الخلاف بين الصرفيين ، إلا أن قضية الأصل اللغوي مازالت في نظر كثير من الباحثين المعاصرين قضية شائكة تعتمد أكثر ما تعتمد على كثرة استعمال الأصل وتعدد تصاريفه وتمايز الناطقين به ، إلا أن الدكتور أنيس يؤكد أنه " من العسير الحكم على الأصل في النطقين لنحاول تبرير هذا التطور الصوتي ، إلا أن نتخذ لهجة خاصة نجعلها هي الأصل الذي نقيس عليه أو ننسب إليه ولتكن لهجة قريش مثلا ، غير أن روايات النحاة ناقصة مبتورة يندر أن تنسب النطق الخاص لقبيلة ما ، بل تكتفي في معظم الأحيان بالإشارة إلى أن من العرب من ينطق هكذا ، لهذا لا نستطيع أن نميز الأصل من الفرع وربما لم يكن هناك أصل ولا فرع بل إن الصوت الواحد في بعض الكلمات نطق به نطقا مختلفا في بيئات مختلفة" [1] .

وقد يكون البحث اللغوي التاريخي معيارا قويا في تحديد الأصالة والفرعية ، تشير آمنة الزعبي إلى إشارة بعض القدامى والمعاصرين إلى " أن هذا المستوى يحتوي في بعض الأحيان على صورتين أو أكثر لظاهرة لغوية واحدة وبعض هذه الصور يمثل فترة تاريخية أقدم من الصور الأخرى ، كما أشار بعضهم إلى أن الملاحظة تدلنا على احتمال وجود نطقين أو أكثر أحدهما جديد والآخر تقليدي محافظ يتعايشان معا لسنوات كثيرة قد تصل أحيانا لعدة قرون " [2] .

وربما تعود صعوبة تحديد الأصل والفرع إلى ما يراه الدكتور رمضان عبد التواب من السبب في تعاقب الأصوات ، فهناك انقلابات صوتية " ليست إلا نتيجة لأخطاء السمع فإن الطفل يعتمد في تلقي اللغة على المحيطين به على حاسة السمع ، ولما كانت هذه الحاسة عرضة لذلك في إدارتها للأصوات ، ولاسيما تلك الأصوات المتقاربة في المخارج كان من الطبيعي أن يجانب الطفل السداد في بعض ما ينطق به محاكيا من حوله " [3] .

وانظر : فصول في فقه العربية ، رمضان عبد التواب ,199

[1]- الأصوات اللغوية ، إبراهيم أنيس , 210

[2]- التغير التاريخي للأصوات في اللغة العربية و اللغات السامية ، آمنة صالح الزعبي , 5

[3]- التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه ، 187

فإذا ما انتشر الخطأ السمعي ونما مع الأطفال صارت الصيغة البديلة أصلا في الجيل التالي ، وسوف نقدم فيما يلي رؤية مقارنة مقتصرين على النماذج التي قدمناها في الشروح وهي كالتالي :

- ل ن : حنك وحلك – صيدلاني وصيدناني
- م ن : امتقع و وانتقع
- م ب : امتقع وابتقع – لازم ولازب

1 – ل – ن : تؤكد هذه النماذج – ولو أنها قليلة هنا – غلبة الإبدال في الأصوات المائعة عموما ومنها الإبدالات التي تقع بين اللام والنون وهي كثيرة في اللغة العربية " وقد وردت في كتب التراث كلمات كثيرة وقع الإبدال فيها بين اللام والنون ومن ذلك هتنت السماء تهتن تهتانا ، وهتلت تهتل تهتالا " [1] . وغيرها كثير في اللغة العربية .

ومن الناحية الصوتية نجد " الصوتين متقاربين في المخارج ويشتركان في صفة الأسنان أيضا ولذا فإن المعجم العربي جاء حافلا بالكلمات التي تعاقبت فيها النون مع اللام على الرغم من أن آخر ما يتوقع من أسباب هذا التحول هو الفرار من صعوبتها فهما من أيسر الأصوات نطقا " [2] .

وهي تقع ضمن مجموعة من الحروف الصوتية المحضة كثيرة الانقلابات في العربية في مقابل حروف اللين والهمز عند برجشتراسر " أما الحروف الصوتية المحضة وهي (ل ر ن م) فيماثل بعضها بعضا من جهة أن الغالب على نطقها كلها الصوت الناشئ من اهتزاز الأوتار الصوتية في الحنجرة ولهذا السبب كثيرا ما يستبدل بعضها من بعض أو تقدم أو تؤخر " [3] .

وترى آمنة صالح الزعبي قلة شواهد الإبدال بين اللام والنون في اللغات السامية مقارنة باللغة العربية " وقد يكون السبب في هذا هو الاهتمام الكبير الذي أبداه علماء اللغة الذين قاموا على أمر جمع اللغة العربية وعدم مغادرتهم أي استعمال لغوي سمعوه عن العرب زيادة على الرقعة الجغرافية التي

[1]- النون في اللغة العربية دراسة لغوية ، مصطفى التوني , 39
[2]- التغير التاريخي للأصوات في اللغة العربية و اللغات السامية ، 167
[3]- التطور النحوي للغة العربية ، 38

انتشرت اللغة العربية فيها وطول عمر العربية ، وهي أمور لم تتوافر بالكيفية نفسها في اللغات السامية الأخرى ولاسيما وأن أغلب هذه اللغات مات من الاستعمال الفعلي منذ زمن بعيد " [1] .

ونظرا لإشارة رايت Wright وموسكاتي Moscatti وأوليري O' Leary بكثرة وقوع التبادل بين النون واللام في اللغات السامية [2] ، فإن قولها إن الإبدال بين (ل ، ن) كثير في العربية فهذا صحيح ، لكن رؤيتها بقلة وقوعه في الساميات فهذا فيه نظر يحتاج إلى استقصاء في تلك اللغات لأن السبب الصوتي الداعي إلى وقوع الإبدال في العربية هو نفسه في الساميات أخوات العربية ، بل ربما نجده أمرا واقعا في كل اللغات ، لكن قولها بقلة الشواهد في الساميات الراجع إلى ضخامة جهود العلماء العرب الذي ميز الدراسات اللغوية العربية فهذا أمر صحيح .

ونعرض من شواهد الإبدال في اللغات السامية بين اللام والنون ما جاء في العبرية في كلمة : **לִחֵשׁ** liḥéš بمعنى تمتم وسَحَر ورقى ، وفيها : **נִחֵשׁ** niḥéš أيضا [3] .

وفيها أيضا **צֶלֶם** śélem أي صنم ، وفيها **נָתַן** nāṯan بمعنى نتل الشيء إذا جذبه إلى للأمام [4] ، ونجد هذا الفعل في السريانية n·ṯan في مقابل العبرية nāṯan بمعنى (يعطي) ، وفي السريانية أيضا ḥalfā يقابله في العبرية ḥanfā بمعنى (آثم) [5] .

ويشير الدارسون في اللغة السريانية أن اللامذ (ل) قد تكون بدل النون العربية بشكل ملموس فيها ، ومن الشواهد الشهيرة (صنم) في العربية يقابلها في السريانية أَلُما باللام ṣalma ، وهو في العبرية צֶלֶם śélem ، وهو في النبطية صنم ṣnm . وفي النقوش الجزرية يكثر ورود الكلمة في النقوش

[1]- التغير التاريخي للأصوات في اللغة العربية و اللغات السامية ، 170

[2]- مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن ، 62 , وانظر :

W.Wright: Lectures , 67

O'Leary: Comparative grammar of the Semitic languages, 63

[3]- التغير التاريخي للأصوات في اللغة العربية و اللغات السامية ، 170 / وانظر :

W.Wright: Lectures , 67

[4]- التغير التاريخي للأصوات في اللغة العربية و اللغات السامية ، 169

[5] -O'Leary: Comparative grammar , 64

اللحيانية بصيغة (ص ل م) : وهو الصنم ، ووردت هذه اللفظة في النقوش اللحيانية في صيغة المفرد المذكر (ص ل م) ... وصيغة المثنى أو جمع التكسير (ص ل م ن) وفي صيغة الجمع (أ ص ل م) وفي صيغة المفرد المؤنث المسند إلى ضمير الغائب (ص ل م ت هـ ن) [1] .

ومن الإبدالات أيضا بين اللام والنون في كلمة (زلزال) هي في الآرامية زُونـزلا zonzala والفعل (زلزل) في السريانية زَنزِلا zanzel [2] ، وفي الآرامية كـذلك **נְדַן = לְדַן** ldan = ndan، وفي التلمود **להמא = נהמא** lahma = nahma، كذلك **נקט = לקט** [3] . nāqaṭ=lāqaṭ .

ومن أمثلة هذا الإبدال أيضا في الأشورية القديمة : كُلكا kulkā (خاتم) بدل كنكا kunkā ، وفي الفينيقية (بل bl) أي (ابـن) بـدل (بـن bn) ، وفي الإثيوبيـة سنسـل sansal بـدل سلسـلة العربية ، وفي الأكدية لَمصَتُ lamśatu ونَمْصَتُ namśatu (fly يطير) [4].

وفي العربية الجنوبية وقع في صورتين لكلمة واحدة zanam = zalama قطع [5] .

فإذا ما عدنا إلى النموذج الذي قدمناه في (حلك وحنك) يظهر للباحث أن الاسم الـدال عـلى باطن الفم هو بالنون ويختلف عن الاسم الدال على اللون باللام . وتطور عنه عن طريق الإبدال ونؤيـد ذلك بما أشار إليه أستاذنا د. رمضان من أن الأصل (حنك) فيما " روته المعاجم من أن حنـك الغـراب هو باطن أعلى الفم من داخل ، ... فإنه مما لا شك فيه أن (الحنك) بهذا المعنى متطـورة عـن (الحلـك) بمعنى شدة السواد قلبت فيها اللام نونا"[6].

---

[1]- انظر في إبدالات كلمة صنم : اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية ، 63 / البراهين الحسية على تقارض السريانية و العربية ، 59 / التغير التاريخي للأصوات في اللغة العربية و اللغات السامية ، 169 / مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن ، 62/ نقوش لحيانية من منطقة العلا دراسة تحليلية مقارنة ، 42

[2]- انظر : البراهين الحسية على تقارض السريانية و العربية ، 59 / التغير التاريخي للأصوات في اللغة العربية و اللغات السامية ، 169

[3] -W.Wright: Lectures on the comparative grammar , 67

[4]- مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن ، 62

[5] -O'Leary: Comparative grammar , 64 : انظر

[6]- فصول في فقه العربية ، رمضان عبد التواب , 333

وتؤكد الساميات المقارنة هذه الحقيقة ، فقد وردت الكلمة في مزامير داوود المزمور 137 : **לְחִכִּי** = لحنكي وهي " كلمة **חֵךְ** = حنك ، مختصرة من **חִנְּךָ**: وتقابل في السريانية حِنكُا ḥenk̲ā = حِكُا ḥekkā، وفي الأشوريةikku ʾ وفي العربية حنك والكلمة هنا مضافة إلى ياء المتكلم وقد ظهر فيها إدغام النون " [1] .

ويؤكد جزينيوس ذلك فعنده " **חֵךְ** (ḥak) اسم مذكر وهو الحنك (سقف الفم) وفي الآرامية حِنكُا **חִנְּא** ḥenkā " [2] ḥekkā , مكتوبة بالنون ومنطوقة بالإدغام !

وفي (صيدلاني وصيدناني) سبق أن قدمنا رؤية الشراح في أصلها الذي يغلب عليه النون من (الصيدن) وهو الحجر الذي يصنع منه العقاقير ثم عممت الدلالة بعد ذلك على كل صناعة الدواء ، ويتشابه ما جاء به د. حسن ظاظا مع بعض ما أشار إليه ابن درستويه من نسبة الصيدن إلى أرض (صيدا) كثيرة الحجارة ، يقول : " صيدلاني : صيدلي وهو في السريانية (صيدنايا) منسوب إلى مدينة صيدا في لبنان لكثرة من كانوا يحترفون تركيب الأدوية من أبنائها في الزمن القديم " [3] .

ولم تحل تلك النسبة اللغز في أصل اللام والنون في الكلمة وهذا الأمر جعل المعاصرين يتخبطون في علاج الكلمة ولم ينته بهم الأمر إلى حل حاسم لهذا الإبدال ، فلو نظرنا إلى المعجم السرياني سنجد الكلمة كالتالي : **أيدنيا** بالنون [4] ṣaydanya، في حين أنها جاءت باللام في كتاب البراهين الحسية ففي الحرفة (الصيدلانية) جاءت كذلك : **أيدليوت**ا ṣaydlayoutha [5] .

هذا في الوقت الذي قدمها أدي شير تقديما آخر بإبدالات أخرى ؛ حيث نسبها آخرون إلى الفارسية فقال : " الصيدلاني والصندلاني والصندناني بيّاع العطر والعقاقير والأدوية قيل هو فارسي

[1]- في قواعد الساميات العبرية والسريانية والحبشية ، 104 / وانظر : البراهين الحسية على تقارض السريانية و العربية ، 26

[2] -W.Gesenius: Hebrew and English lexicon , 335

[3]- الساميون ولغاتهم ، حسن ظاظا , 123

[4] -Isho.B.Ali: The Syriac –Arabic glasses , 304

[5]- البراهين الحسية على تقارض السريانية و العربية ، 108

معرب ، ولم أجده ، وأظن أن أصل الصيدلاني : صندلاني أي بيّاع الصندل ثم أطلق على كل من يبيع أي جنس كان من العطر والعقاقير والأدوية " [1].

وبذلك يجوز لنا تأييد ما ذكره الشراح من أصالة النون في الكلمة ونسبتها إلى (الصيدن) طالما لم نجد لها قولا فصلا في الساميات المقارنة .

2- م- ن : وفي التبادل بين الميم والنون في مثل (امتقع وانتقع لونه) تؤكد المقارنة بالساميات وقوعه بشكل ملموس في اللغات السامية والعربية منها " ولما كان هذان الصوتان من أكثر الأصوات سهولة فإننا نستبعد أن تجنح اللغة إلى التخلص من أحدهما ، ولكنها لأسباب صوتية أخرى منها التقارب في المخرج وربما الخطأ في السمع قد تقوم بإجراء عملية تعاقب بين الصوتين ... ، وقد سجلت العربية أمثلة كثيرة على هذا التعاقب " [2].

ومن أمثلة هذا التبادل في العربية الناتج لعلاقة القربى بين الصوتين تواليهما " في السجع والفاصلة دون أن يختل النغم، ففي القرآن الكريم مثلا يقول الله تعالى : ﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ و إِنَّ لَكَ لَأَجْراً غَيْرَ مَمْنُونٍ وإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم 68/ 1-4) ، وفي الشعر العربي أمثلة قليلة كذلك ، كقول الراجز :

واللهِ ما فَضْلِي عَلَى الجِيرانِ

إلا على الأَخْوالِ والأَعْمامِ

ولعل هذه العلاقة هي التي تفسر لنا ورود بعض الكلمات في العربية بروايتين إحداهما بالميم في آخرها والأخرى بالنون : الغيم والغين ، الآجم والآجن (المتغيّر) " [3].

[1]- الألفاظ الفارسية المعربة ، أدي شير , 109

[2]- التغير التاريخي للأصوات في اللغة العربية و اللغات السامية ، 146

[3]- المدخل إلى علم اللغة و مناهج البحث اللغوي ، 227 - 228

openkandil.com

وتتعدد صور الإبدال بين (م ، ن) في اللغات السامية أشهرها (التمييم) الذي يوجد في الأكادية في مثل kalbum وهو يقابل التنوين في العربية في نحو : كلبٌ وهي تخص النهايات الإعرابية : im - am - um وهي تقابل في العربية un - an - in [1] .

وقد ذكر الدكتور إسماعيل عمايرة " أن الأكادية قد استعملت الميم بدلا من النون في نظامها الصوتي وكذلك العربية الجنوبية في مثل (inṯim) بمعنى(أنتن) ، وهو ما يقال في الإثيوبية : temālem أي أمس وgéśam أي غدا " [2] .

ومن الإبدال بين (م ، ن) في اللغات السامية كلمة(إن) العربية فهي في العبرية אִם im ، وفي السريانية in، وفي الحبشية ኦ ም ema، وفي الأكادية śumma [3] .

وكلمة **עִמְדִי** (عِمادي) في العبرية يرى المستشرقون أن الصورة أصلها كلمة (عند) في العربية قلبت نونها ميما [4] .

ويشير رايت إلى أن الكلمة العبرية **מוֹרַג** (مورَج) هي في السريانية **نرجا** (نرجا) (فأس) وفي العربية (نورج) . ومنه (إبهام) في العربية هي في العبرية **בְּהֹנוֹת** (بهونوت) و **בֹּהֶן** (بُهان) . و(دسم) في العربية هي في العبرية **דֹּשֶׁן** (دشن) بالنون وكذلك في الضمائر : أنتم في العبرية **אַתֶּם** (اتّم) ، وفي السريانية **انةون** (انتون) بالنون ، ومنه : هم في العربية في العبرية **הֵם** (هِم)، وفي السريانية **هؤُن** (هون) . وفي علامة الجمع في العربية (ـينَ ، ـونَ) في الآرامية ـــــــــن (ين)، وفي العبرية **ים** (يم) ، وفي المثنى في العربية (ـينِ ، ـانِ) ، في الآرامية ـــــــــن (ين)، وفي العبرية **ים** [5] . (يم) .

وأشار صاحب اللمعة الشهية إلى أن" النون السريانية قد تكون كثيرا بدل الميم العربية في الضمائر وأمثالها نحو : **أَنةونا** (انتونا) أنتم ، **قريةوِن** قرأتم " [6] . (قريتن) .

---

[1]- انظر : المدخل إلى علم اللغة و مناهج البحث اللغوي ، 227، 246

[2]- انظر : التغير التاريخي للأصوات في اللغة العربية و اللغات السامية ، 148

[3]- انظر : المدخل إلى علم اللغة و مناهج البحث اللغوي ، 227- 246

[4]- انظر : في قواعد الساميات العبرية والسريانية والحبشية ، 124

[5] -W.Wright: Lectures , 67 :انظر

[6]- اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية ، 63 - 64

وفي العبرية (مادة **אלמן ، אלמנה**) (ألمن – ألمنه) التي" يقارنها ابن بارون بكلمة أرمل وأرملة وذلك بتبادل الحروف متشابهة المخارج أو التي تنتمي إلى مخارج قريبة من بعضها مثل الراء واللام والميم والنون " [1] .

وإذا رجعنا إلى النموذج العربي المقدم في الشروح (امتقع وانتقع) يتأكد لنا عدم غرابة وقوع الإبدال الصوتي بين الميم والنون ، لكن الجدير بالذكر هنا ما أشار إليه أستاذنا الدكتور رمضان عبد التواب من نسبة هذا التبادل الصوتي إلى قانون المخالفة " ويمكن عن طريق قانون المخالفة تفسير ورود كلمتين في العربية الفصحى بمعنى واحد وأصواتها متفقة فيما عدا الصوت الأول منهما " [2] .

وكان الدكتور أحمد هريدي قد أشار إلى إمكانية حدوث التخالف مع ميم اسم الفاعل أو اسم المفعول وغيرهما عند تكرار ميمين في أول الكلمة . ففي امتقع اسم المفعول (مُمْتَقع) ثم يحدث التخالف فتبدل إحدى الميمين نونا ، ثم يشتق الفعل من الكلمة الجديدة (انتقع) .

وعلق الدكتور رمضان على ذلك قائلا " وهذه فكرة جيدة جدا تفسر لنا ما سبق وأن قلناه من اتفاق كلمتين في أصواتها ماعدا الصوت الأول بينهما ، إذ نجده في واحدة منهما مثلا (ميما) وفي الأخرى (نونا) على فرض أن الكلمة التي في أول أصولها ميم جاءت على وزن المفعول من الثلاثي أو الرباعي أو اسم الفاعل من الرباعي فيتوالى ميمان وحينئذ تحدث المخالفة بإبدال الثانية نونا " [3] . وإذا أخذنا بهذا الرأي علينا أن نقر أن الأصل في الصيغتين (امتقع وانتقع) هو الأصل الميمي .

3- وقد يستدل اللغويون بطريق آخر في الأصالة ربما يكون كثرة الاستعمال ، وربما يكون المعيار التاريخي أي الأقدم ، تشير آمنة صالح إلى مثل القلب في (لازم ولازب) إلى أنه " من الممكن أن تتغير الباء إلى الميم والميم إلى الباء والحكم بالأصالة على أحد النمطين والفرعية على الآخر ربما لا يكون قاطعا ، وإنما يستند إلى قضية تداولية براجماتية وهي كثرة الاستعمال في الغالب " [4] .

[1]- المعاجم العبرية دراسة مقارنة ، سلوى ناظم , 179 - 180
[2]- التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه ، 67
[3]- التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه ، 68
[4]- التغير التاريخي للأصوات في اللغة العربية و اللغات السامية ، 140

كما أشار صاحب اللمعة إلى المعيار التاريخي فربما " قد تكون البيت (ب الباء) ميما في العربية نحو زَبنُا زمن ، وهو بالميم أقدم لأنه كذا في العبرانية وفي سريانية بابل القديمة المسماة الكلدانية " [1] .

ومن المؤكد أن التعاقب بين الباء والميم يرجع صوتيا إلى " قرب المخرج أو السياق الصوتي أو إلى أخطاء السمع أحيانا" [2] . وتؤكد الإبدالات الواقعة في اللغات السامية وقوع التبادل بين الميم والباء :

ففي السريانية : **أَمح** (صَمح) أشرق – أصبح [3] . وفيها **زَبنُا** (زبنا) زمن [4] . وفي العبرية זמן (زامن) زمن – زمان ، وهي في الحبشية ዘመነ (زَمَنَ) . وفي الحميرية מן (مِن) בן (بِن) (من) [5] . وفي العبرية **בחן** (بحَن) ، وفي الآرامية **בחן** ، وفي السريانية **بحن** (بحن) ، وفي العربية محن [6] . كما أشار صاحب البراهين الحسية إلى مجموعة من الكلمات المبدلة في الآرامية منها : " **زَمورا** zamoura الزّبور "[7] .

وفي العربية الجنوبية أيضا " لهجة يستشهد عليها ببضعة نقوش من مدينة هرم (في الجوف اليمني) ونواحيها ، في تلك اللهجة مميز تختص به دون سائر اللهجات واللغات الصيهدية بأجمعها وهو استخدام حرف (من م ن) بمعنى (مِن) بيد أن اللهجات واللغات الأخرى لا تستخدم إلا (بن ب ن) في ذلك المعنى " [8] .

ومن هنا يترجح أن الحكم بالأصالة في (امتقع وانتقع وابتقع) يرجع إلى الصيغة الميمية ، وفي (لازم ولازب) ربما يعود للأصل الميمي نظرا لمعيار كثرة الاستعمال ، والإبدال إلى الباء فيها ربما يرجع إلى التقارب المخرجي أو أخطاء السمع .

---

[1]- اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية ، 61

[2]- التغير التاريخي للأصوات في اللغة العربية و اللغات السامية ، 137

[3] -L.Costaz: Syriac-English- French – Arabic dictionary , 302

[4] -L.Costaz: , 83

[5] -W.Wright: Lectures, 64

[6] -W.Gesenius:, 103

[7]- البراهين الحسية على تقارض السريانية و العربية ، 59

[8]- مختارات من النقوش اليمنية القديمة ، 71 / وانظر : مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن ، 51 / W.Wright: Lectures , 65